وظيفة التمجيدفي شعر عصر ما قبل الإسلام
تمجيد الكرم _انموذجاً _

ID No. 878

(PP 145 - 156)

https://doi.org/10.21271/zjhs.27.SpA.9

سناء حياس ابوبكر
قسم اللغة العربية،كليةالتربية،جامعة صلاح الدين-أربيل
sanaa.abubaker@student.su.edu.krd

جليل حسن محمد
قسم اللغة العربية،كليةالتربية،جامعة صلاح الدين-أربيل
jalil.muhamad@su.edu.krd

الاستلام: 2023/01/15
القبول: 2023/02/19
النشر: 2023/10/15

الملخص

كان الشعر مرآةً مصوّرةً للحياة العربية في عصر ما قبل الإسلام بخيرها, وشرّها؛ لذا عدّ هذا الشعر ديوانهم, وسجلّ أخبارهم, ووسيلتهم المثلى في مجتمعهم ومن تلك القيم التي طرّزت صفحات أشعارهم الكرم الذي حرص عليه العربي حرصاً غير هينٍ وقد أظهر الشعر ذلك الحرص بأجلى صورة وأدقّها, ذاكراً كلَّ أمرٍ ذي صلةٍ بالكرم, والكرماء من صفاتٍ ومظاهر, وقدتولّى هذا البحث استقصاء هذه التفاصيل الدقيقة التي أبداها الشعر بالأداء الجميل والفن الرفيع من خلال ذكر صفات الكريم ومظاهر الكرم المتنوعة التي نرى بسطها في متن البحث.

الكلمات المفتاحية:الكرم, صفات الكريم, الأضياف, مظاهر الكرم.

1- المقدِّمة

من المحال الوقوف على الحياة العربية في عصر ماقبل الإسلام أو أيّ منحىً من مناحيها دونما الرجوع المحمود إلى الشعر العربي الذي قيل في ذلك العصر, فالشعر ذاك بحق مرآة صافية تظهر تلك الحياة وتجلّيها جلاءً غير قاصرٍ ولم يكن القدامى مبالغين في وصف ذلك الشعر بقولهم إنّه:(ديوان العرب)وهذا الديوان الواسع الأرجاء متعدّد الأطراف, تكفّل بتسجيل الحياة العربية غير تاركٍ شيئاً منها مما يضرّ, أو مما ينفع فمن الموضوعات التى احتواها ووقف عندها (الكرم ومنازل الكرام) فقد نهض بهذه المهمّة الجسيمة خير نهوض فقدّم للأجيال المتعاقبة شعراً جديراً بالقراءة, والمتابعة والاقتداء, والتعظيم وقد وجدنا من النافع أن نستقرىء هذا الشعر, و قد أثمر الاستقراء عن طائفة من النصوص الشعرية التي فرقناها على محورين أساسيين هما : صفات الكريم, و مظاهر الكرم.وقد تمثّلت صفات الكريم بوفرة العطاء, والبشاشة و طلاقة الوجه وحسن الحديث, و إيثار الضيوف على النفس والأهل, والعطاء غير المتبوع بالمنّ و التعالي, أمّا المظاهر فقد تجسّدت في نار القرى, و قدر الكريم, و كلب الكريم مؤيدين لكلّ ما نقول بنصوصٍ من شعر ذلك العصر معتمدين على عددٍ من دواوين الشعراء, بيد أنّ الدواوين وحدها لم تكن المعوّل عليه, إنّما ضممنا إليها بعضاً من كتب تاريخ الأدب, و النقد القديم و ما إلى ذلك من المصادر التي تؤازر النصوص الشعرية في التوثيق, و التوضيح.

2- تمجيد الكرم في شعر عصر ما قبل الإسلام

للشعر وقعٌ كبير في النفس, لهذا أهتمّ الكثير من الكتّاب والباحثين بمعرفة, أسرار هذا التأثير, وإن كان له تأثيرٌ في عموم الناس, إلّا إنّ تأثيره في حياة الناس في عصر ما قبل الإسلام كان الأعمق أثراً؛ لأنّه كان وسيلة التعبير الأدبي الأكثر انتشاراً بينهم فمن خلاله كانوا ينشرون ويحفظون أخبارهم فهو الوثيقة الأكثر إعتماداً في معرفة أحوالهم وايّامهم.ولقد مجَّد العرب قبل الإسلام في أشعارهم الكثير من الصفات النبيلة, إلاَّ إنَّ الكرم جاء في طليعتها فأسهب الشعر في ذكر دقائق هذه الصفة النبيلة,

فذكر صفات الكريم, وكيفية استقباله لضيوفه وحرصه على طمأنتهم نفسياً, وذكر أيضاً المظاهر التي عُرف بها الكريم, والتي يهتدي بها الفقراء والمحتاجون وعابرو السبيل إلى الكرماء وبيوتهم من جهة, ومن جهة أخرى تمثّل المرشد والدليل لمن أراد أنْ يتوشح هذه الصفة فجاء تمجيد الشعر للكرم من خلال محورين هما:

2-1 تمجيد صفات الكريم

2-1-1 تمجيد البشاشة وحسن التأنيس:

رسم الشعر شخصية الكريم, واهتمّ بها كثيراً فراقبها من أوَّل وهلةٍ يرى الكريم فيها ضيفه وكيفية استقباله له وكيف إنَّه يُراعي الجانب النفسي له, ويرفع عنه حرج الحاجة وذلَّ السؤال"والعرب تجعل الحديث والبسط،والتأنيس والتلقي بالبشر من حقوق القرى, ومن تمام الإكرام"**(الجاحظ, 1965, 10/1),** , فطلاقة الوجه والبشاشة بوجه الطارق هي أوّل ما يقدّمه الكريم لضيفه كما يوثق ذلك عروة بن الورد عبر هذا الطباق الذي أسند طرفاً منه (معروفي) إلى نفسه وأسند طرفه الثاني(منكري) إلى غيره المقصود به البخيل **(ابن الورد, 1966, 90, وينسب لحاتم الطائي, ينظرالجاحظ, 1965 , 10/1):**

سَلي الطَّارِقَ المُعتَرَّ يا أُمَّ مالِكٍ إِذَا مَا أَتَاني بَينَ قِدْرِي وَمَجْزِرِي
أَيُسْفِرُ وَجْهِي إِنَّهُ أَوَّلُ القِرى وَأَبذُلُ مَعْرُوفي لَهُ دُونَ مُنكَرِي

وقد يُعبرِّ الجوادعن شدّة فرحه, وابتهاجه بقدوم الضيف وكأنَّ الضيف قدأكرمه, وأحسن إليه وأراح نفسه بنزوله عنده, وإنّك لواجد هذه الصفة يخلعها زهير بن أبي سلمى على ممدوحه حصن بن حذيفة بن بدر وقد عمد الشاعر إلى هذا الضرب الجميل من التبادل في المشاعر بين الكريم, والوافد عليه فالممدوح-كما وصفه زهير بن أبي سلمى- في احتفائه بقاصده, والابتهاج بمقدمه, كأنّه هو السائل مسرةً وانشراحاً بعد قضاء حاجته وتلبية دعواه إذ يقول:**(ابن أبي سلمى, 2008, 113):**

تَراهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهْ

بل نصّ بعض الشعراء على أنَّ القرى ليس بكثرة الطعام؛ وإنَّما بحسن استقبال الضيف, والطلاقة بوجهه فعدّوه شرطاً لازماً في هذه العملية الفاضلة وخاصةً بوجه ضيوف الليل فنجد الكثير من الشعراء ذكروا مع البشاشة كلمة (طارق), الدالة على وفود الضيف القادم إليهم ليلاً, وقد خصّوا الليل بالذكر في مواطن الكرم لمافي هذا الوقت من الحرج الذي يشعربه الضيف إزاء الجهد الذي يبذله الرجل المضياف؛ لرفع الإحراج عنه بوجهٍ طلقٍ وحديثٍ مبهجٍ, وهذه الصورة في الاحتفاء بالضيف تبدو واضحة في قول ضمرة بن ضمرة النهشلي**(الضبي, 2010, 326):**

وَطَارِقِ لَيْلٍ كُنْتُ حَمَّ مَبِيْتِهِ إِذَا قَلَّ فِي الحَيِّ الجَمِيعِ الرَّوَافِدُ
وَقُلْتُ لَهُ أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَباً وَأَكْرَمْتُهُ حَتَّى غَدَا وَهُوَ حَامِدُ

فالشاعر يمجِّد البشاشة في موقف قد تعبس فيه وجوه الآخرين فقد جاءه الضيف في الليل, وفي وقت القحط, وهو الوقت الذي ينشغل فيه معظم الناس بأنفسهم, إلاَّ إنَّه استقبل ضيفه أحرَّ الاستقبال, والمثقّب العبدي يفخر بحسن استقباله لضيفه في ليلةٍ كحلاء, غزيرة المطر وقد ذكر هذا الوقت بالتحديد؛ لصعوبة القرى فيه,فقد أحاط الشاعر الضّيف الطّارق بعاملين ضاغطين أحوجاه إلى العون والطمأنينة وهما:الليل الدامس, والمطر الدافق, فكان حضور الكريم وقتذاك خير عونٍ له, وضمانة لتحريره من معاناته, يقول**(العبدي, 1971, 117)**:

وَسارٍ تَعَنّاهُ المَبيْتُ فَلَم يَدَعْ لَهُ طامِسُ الظَلْماءِ وَاللَيْلِ مَذهَبَا
فَلَمَّا أَتَاني وَالسَمَاءُ تَبُلُّهُ فَلَقَّيْتُهُ أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَبَا

والشعراء لم يقيدوا البشاشة بفئةٍ خاصةٍ بل هي عامّة, فتجدها عند الأمراء والملوك والفقراء والمساكين فالملوك لا يجهدهم إطعام الطعام بقدرما يجهدهم التبسّم بوجه من هم دونهم في المكانة والمنصب, فأميّة بن عبدالشمس يمدح أحد الملوك لبشاشته, ويبالغ بكلمة (أدرّ), بشدّة طلاقة وجه ممدوحه, وكأنَّ قاصدي معروفه اكتفوا وارتعوا بتلك البشاشة في قوله**(الحميري, 1975, 155):**

إِلَى مَلِكٍ أَدَرَّ لَنَا بِالعَطَايَا بِحُسْنِ بَشَاشَةِ الوَجْهِ الطَلِيق

ولايقف الشعر عند الطلاقة والبشاشة فحسب, بل يجب على الكريم تجنّب العبس, وتقطيب الجبين عند القرى, وإطعام الطعام وآية ذلك أنّ عمرو بن قميئة ينفي العبس, وتقطيب الجبين عن ممدوحه في قوله**(ابن قميئة, 1965, 10):**

عَظيمُ رَمادِ القِدرِ لا مُتَعَبِّسٌ وَلا مُؤيِسٌ مِنْها إِذْا هُوَ أَوْقَدَا

وينفي أوس بن حجر أيضاً تقطيب الجبين عن ممدوحه بقوله**(ابن حجر, 1975, 11):**

وَيَحْبُو الخَلِيْلَ بِخَيْرِ الحِبَا ءِ غَيْرَ مُكِبٍّ وَلا قَاطِبِ

ولم يختصر الأجواد إكرام النازلين بديارهم في تضمين حاجتهم إلى الطعام وحده, بل قرنوا ذلك بلازمة أخرى, قوامها لطف الحديث والتأنيس ليستلّوامن نفوسهم الخجل والتردد, ومن هنا جعل الشمّاخ بن ضرار, الزاد وطيب الحديث صنوين لا يفترقان عند ممدوحه قائلاً**(الجاحظ, 1998, 10/1, البيت أخلّ به الديوان):**

إِنَّكَ يا ابن جَعفَرٍ خَيْرُ فَتى وَخَيْرهم لِطَارِقٍ إِذَا أَتَى
وَرُبَّ نِضوٍ طَرَقَ الحَيَّ سُرى صادَفَ زاداً وَحَديثاً ما اِشتهى

فالكريم يصرف همَّه كلّه –حتّى عن زوجته-إلى ضيفه لايشغل باله بسواه, يُسمعه الأحاديث الحسان حتَى يحين وقت نومه فهو لا يني عن ذلك ولايتعب لإيمانه بأنَّ القرى لا يبلغ ذروة مداه ما لم يعضّد بالحديث الهادف إلى مسرّة النفس، فعروة بن الورد حشد في بيتيه الآتيين ثلاثة أوجه من وجوه الكرم في ممدوحه وهي:جودة المكان, وحسن الاهتمام,وطيب الحديث والترحيب يقول:**(ابن الورد, 1966, 101):**

فِراشي فِراشُ الضَيْفِ وَالبَيتُ بَيتُهُ وَلَمْ يُلْهِني عَنهُ غَزالٌ مُقَنَّعُ
أُحَدِّثُهُ إِنَّ الحَديْثَ مِنَ القِرى وَتَعلَمُ نَفسي أَنَّهُ سَوفَ يَهجَعُ

ويقول عبد قيس بن خفاف أيضاً**(بنو تميم, 1982, 348)**:

وَالضَّيفَ اكْرِمه فَإِنَّ مَبِيْتَهُ حقٌّ وَلا تَكُ لَعْنَةً لِلْنُزلِ

إنَّ من أراد إظهار حسن كرمه فعليه بالابتسامة والبشاشة, وتجنّب العبس والازدراء بالسائلين؛ ليحظى بصفة الكريم الحق.

2-1-2 تمجيد الإيثار:

يُعدّ الأيثار من أنبل الصفات وأجلّها؛ لإنَّ من يتصف به يؤثر الآخرين على نفسه مع حاجته إلى ما يتفضّل به عليهم؛ لذلك عظَّم الشعراء الإيثار, وبوأوا صاحبه المكانة العالية, والمنزلة السنية, ورأوا أنَّ الكرم الحقيقي يتجلّى مع قلة ذات اليد ومن هنا يرد حسّان بن حنظلة الطائي على ابنة العدوي انتقاصها من شأن قومه؛ لقلّة أموالهم فالضيوف النازلون على قومه حامدون لكرمهم على الرغم من عسر الحال, فالمقلّون من قومه يسلكون في الكرم مسلك الأغنياء**(التبريزي, د.ت, 25/2):**

تِلْكَ ابنةُ العَدَوِي قَالَتْ بَاطِلاً أَزْرَى بِقَوْمِكَ قِلَّةَ الأمْوالِ
إِنَّا لَعَمْرُ أَبِيْكَ يَحْمدُ ضَيْفُنَا وَيَسُودُ مُقْتِرُنَا عَلَى الإقْلَالِ

فهنا يذكر الإيثار كوسيلة من وسائل نيل السيادة, وإنْ لم يكن ذا غنىً, ومن أرقى صور الإيثار صنيع(كعب بن مامة) مع صاحبه (النمري) حين استطال عليهما الطريق, وزاد عطشهما وشح ما يرويهما من الماء فتقاسما قراح الماء بينهما, ولكن عندما أدرك كعب بن مامة عدم ارتواء صاحبه, آثره على نفسه وأكرمه بنصيبه, فمات من شدةّ العطش فذهب مضرب المثل في الإيثار فقالوا:(أجود من كعب بن مامة), **(ينظر:النيسابوري, د.ت, 183/1),** وقد رثاه أبوه بقوله**(الضبي, 1983, 139):**

أَوفَى عَلَى المَاءِ كَعْبُ ثُمَّ قِيلَ لَهُ رِدْ كَعَبُ إِنَّكَ وَرَّادٌ فَمَا وَرَدَا
مَا كَانَ مِنْ سُوقَةٍ أَسْقَى عَلَى ظَمَإٍ خَمْرَاً بِمَاءٍ إِذا نَاجُودُهَا بَرَدَا
مِنَ ابن مَامَةَ كَعْبٍ حِينَ عيّ بِهِ زَوُّ المَنِيَّةِ إِلاَّ حرَّةً وَقَدَا

وعلى النحو نفسه نجد حاتماً يبالغ في إيثار ضيفه على نفسه, بتقطيع جسمه, وتقديمه لضيفه, إذا ما خانته أمواله عن توفير القرى فيقول**(الطائي, 1990 , 239):**

وَإِنْ لَمْ أَجِدْ لِنَزِيْلِي قِرىً قَطَّعْتُ لَهُ بَعْضَ أَطْرَافِيَه

ولم يتفرّد حاتم بتلك المبالغة فعروة بن الورد أيضاً يتقاسم جسمه مع الأخرين, إذا تعذّر عليه توفير أسباب الضيافة فهو يخصّ ضيفه بالأحسن والأجود ولا يبالي بما يبقى له:**(ابن الورد, 1966, 52):**

أُقَسِّمُ جِسْمِي فِي جُسُومٍ كَثِيْرَةٍ وَأَحْسُو قَرَاحَ المَاءِ وَالمَاءُ بارِدُ

وقد يضاجع الكريم الجوع, ويبيت خميص البطن مع وجود الزاد, مُفضِّلاً ضيفه على نفسه في مأكله, وملبسه, ويجود ويندى وإن ضاقت به السبل وقصرت عنه الدنيا, وذلك جليٌّ في قول دريد بن الصمّة الجشمي**(الجشمي, 1981 , 50):**

تَراهُ خَميص البَطنِ وَالزادُ حَاضِرٌ عَتيْدٌ وَيَغْدُو في القَمِيصِ المُقَدَّدِ
وَإِن مَسَّهُ الإِقواءُ وَالجَهدُ زادَهُ سَماحاً وَإِتلافاً لِما كانَ في اليَدِ

فكلمة(الإقواء), تدل على شدةّ حاجته, تقابلها زيادةً في السماحة والإتلاف, وأضحى ضمور البطن رمزاً لبلوغ الإيثار, فذو الإصبع العدواني يفخر أيضاً بانطواء حواياه من شدّة الجوع غير أنَّه يؤثر ضيفه على نفسه**(العدواني, 1973, 53):**

أُكرِمُ الضَّيْفَ والنَّزِيْلَ وَإِنْ بِـ تُّ خَمِيْصاً يَضُمُّ بَعْضِيَ بَعْضِي

فالمؤثرون غيرهم على أنفسهم أولى الناس بالتمجيد, والذكرالحسن؛ لأنَّهم يجورون على أنفسهم ليرتاح غيرهم, فممدوح زهيربن أبي سلمى مارس ذلك الجور على نفسه ونال من الثناء مانال**(ابن أبي سلمى, 2008, 119):**

إِنَّ البَخِيْلَ مَلُومٌ حَيثُ كَانَ وَلَـ كِنَّ الجَوادَ عَلى عِلّاتِهِ هَرِمُ
هُوَ الجَوادُ الَّذي يُعْطِيكَ نائِلَهُ عفْواً وَيُظلَمُ أَحْيَاناً فَيَظَّلِمُ

وقد يفضّل الكريم الضيف على عياله ويعطيه ما يحتاجه كما فعل خداش بن زهير مع نزيله**(العامريون, 1982, 45):**

وأَقْفَيْتُهُ دُونَ العِيَالِ لِحَافَنَا وباتَ أُنَيسَيْهِ بُجَيرٌ ودِرْهَمُ

فليس من السهل اليسير أن يقدم المرء ضيفه على عياله ولا سيما أيام الضيق وعسر الحال, ومن يبلغ به الإيثار هذا المدى يكسب حمداً وتمجيداً عظيمين وعلى الرغم من أنّ العرب تأبى العبودية, بيد أنّ حاتماً بدافعٍ من إيثار ضيفه على نفسه وأسرته يرضى بعبوديّته لضيفه دون سواه من الناس فيقول**(الطائي, 1953, 62):**

وإنيِّ لَعَبْدُ الضّيفِ مَا دَامَ ثَاوِياً وَمَا فيَّ إلاّ تِلْكَ مِنْ شِيمَةِ العَبْدِ

وقديثير إيثار الكريم ضيفه على نفسه وأهله غضب عاذلته عليه, إذ تصدح بالشكوى المرّة منه, بيد أنّ الكريم الحق لا يبالي بشكواها ولايصدع بأمرها؛ لأنّ إيثار الضيوف كما يرى حاتم الطائي طبعٌ فيه لا مناص عنه, ولا يحيده عنه تذمر شاكٍ ولاتحذير عاذلةٍ فكرم حاتم نتاج صراع بين طبعين:أحدهما شديد النزوع إلى العطاء (الكريم), وأخر يدعو إلى الإمساك والتقتير(العاذلة) بيد أنّ الغلبة تكتب في نهاية المطاف للكريم المطبوع على الإيثار والعطاء السمح, يقول:**(الطائي, 1990, 179):**

وَقائِلَةٍ أَهْلَكْتَ بِالجُودِ مَالَنَا وَنَفْسَكَ حَتَّى ضَرَّ نَفسَكَ جُودُها
فَقُلتُ دَعيني إِنَّما تِلكَ عادَتي لِكُلِّ كَريْمٍ عَادَةٌ يَستَعيْدُهَا

ومن أجمل ما قيل في الكرم وإيثاره على البخل والإمساك قول حطائط بن يعفر في ردِّ عاذلته**(البغدادي, 1997, 406/1):**

أَرِيْني جَوَاداً مَاتَ هَزْلاً، لَعَلّني أرَى ما تَرَينَ، أوْ بَخِيْلاً مُخَلَّدا
ذَريني أكُنْ لِلمَالِ رَبّاً وَلا يكُنْ ليَ المالُ ربّاً تَحْمَدِي غِبَّهُ غَدَا
ذَرِيْني يَكُنْ مَالي لِعِرْضِيَ وِقَايَةً يَقي المالُ عِرْضِي قَبْلَ أنْ يَتَبَدّدَا

ونظراً لحبّ الكريم للضيف فهو لايكتفي بإكرامه بوحده بل قد يلجأ إلى تسخير أولاده لخدمته من خلال توصيته لهم بحفظ واجب الإكرام وهويعدّه حقاً مشروعاً للضيف عليه **(الأعشى, 1950, 309):**

الضَّيفُ أُوصيكُمُ بِالضَيفِ إِنَّ لَهُ حَقّاً عَلَيَّ فَأُعطيهِ وَأَعْتَرِفُ

وما ذلك إلّا دليلٌ على إيثار حاجة ضيفه على راحة عياله من خلال تحميلهم عبء إكرام الضيف.

3-1-2 تمجيدالعطاء من غيرِ مَنّ:

نظراً لأهتمام الشاعر بموقف الكريم قبل العطاء, فهو يتابعه حتى بعد العطاء فيمجده الشعر أيضاً, بأن ينأى بكرمه عن المن فالمنّ بعد العطاء من الصفات التي حذّر الشاعر, صاحبه منه؛ لأنَه يمحو الجميل, ويحيل سعي صاحبها هباءً منثوراً,يقول في ذلك:

أفسدت بالمنِّ ما أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ لَيْسَ الكَرِيمُ إِذَا أسْدَى بِمَنَّانِ

فلا يحسب من الكرماء مَنْ منَّ على المُعطَى له؛ لأنَّه سلب منه راحة البال والهناء بما حصل عليه, والأعشى الكبير يفتخر بعدم منِّه على أرملةٍ هزيلةٍ لجأت بصغارها المنهكين إليه, فأكرمها وأطعمها, وزادها هناءً بعدم منّه عليها, فامست رخيّة البال محفوظةً من الكرب والهزال**(الأعشى, 1950, 307):**

وَأَرمَلَةٍ تَسعى بِشُعثٍ كَأَنَّها وَإِيّاهُمُ رَبداءُ حَثَّت رِئالَها

هَنّأنَا وَلَم نمَنُن عَلَيها فَأَصبَحَتْ رَخِيَّةَ بالٍ قَد أَزَحْنَا هُزالَها

وترتفع قيمة عدم المن, كلّما كان الشيء الموهوب ثميناً ونفيساً, فابو المثلّم الهذلي ينفي عن ممدوحه المنّ, حين يهب الغالي من التلاد التي عادةً ماتمسك النفس من إهدارها وفقدانها فيقول**(الهذليون, 1995, 24/2):**

يُعطيكَ ما لا تَكادُ النَفسُ تُسلِمُهُ مِنَ التِلادِ وَهوبٌ غَيرُ مَنّانِ

إنَّ في نفي الشعراء المنَّ على ممدوحيهم إضفاء لطابع الخصوصية على عطاياهم, وإظهارهم بسمة التفرّد التي لاتنقاد لكل طالب فزهير بن أبي سلمى يُعظِّم من شأن ممدوحه بأنَّه يعطي من غيرمنٍّ ولا كدرٍ بقوله**(ابن أبي سلمى, 2008 , 233):**

المَانِعُ الجَارِ يَومَ الرَّوعِ قَدْ عَلِموا وَذُو الفُضُولِ بِلا مَنٍّ وَلَا كَدَرِ

الأسود بن يعفر, أنَّ سرّهناء المرء وسعادته فيما يُتكرَّم به عليه, من غير أن يكون متبوعاً بالمنّ في قوله**(ابن يعفر, 1970, 54):**

هَنَّأنَا فَلَمْ نمَنُنْ عَلَيهِ طَعَامَنَا إِذَا مَا نَبَا عَنْهُ قَرِيبُ الأَصادِقِ

و"أكَّد الشعراء أنَّ الجواد لاينتظر الشكر لقاء سخائه وجوده, أو أنْ يمنَّ على المحتاج**" (النعناع, 1994, 42)**, فالعطاء المتبوع بالمنّ لايعد من الكرم في شيء لأنَّه يؤذي نفسية المعطى له أشدَّ الإيذاء.

2-2-تمجيد مظاهر الكرم:

أوضح الشعر الملامح الشخصية للكريم فيما سبق, وذكر أسباب تمجيده لها, ولكن لم يكتفِ بالجانب النفسي أو المعنوي فقط, بل تعدّاه إلى تمجيد مظاهرالكرم المادية المحسوسة؛ لتكتمل صورة الكريم المثالي؛ ليكون طريق الجود جلياً واضحاً لمن أراد أنْ يسلكه على الوجه الذي يقتضيه,فمن المظاهر المادية المحسوسة التي مجَّدها الشعر :

2-2-1تمجيد نار القرى:

عظَّم الشعراء أفعال الكريم ومنها ناره أو نار القرى كما أطلق عليها الجاحظ**(الجاحظ, 1966 , 134/5)**, وفصّلوا القول فيها فقد ذكروا موقعها ولونها ورائحتها؛ لأنّها كانت وسيلةً نافعةً لأهتداء الناس إلى بيوت الأجواد, وتمثّل صدق دعوة الكريم لضيوفه وإنقاذهم من الهلاك, فأصبح إضرام النيران على يفاع الأرض مظهراً جلياً من مظاهر الكرم, وإشارةً دالةً على دعوة الناس إلى القرى يقول عبد قيس بن خفاف**(بنو تميم, 1982, 255):**

وَنَارٌ دَعَوْتُ بِهَا الطَّارِقِيْنَ وَاللَيْلُ مُلْقٍ عَلَيَّ السُّدُولَا

ويدعو مضرس بن ربعي في ليلةٍ شديدة البرودة الضيف, بضوء ناره ليطعمه خير ما عنده من الطعام والشاعر هنا يبسط معاناة الضيف قبل حلوله في منزل الكريم فهو سائرٌ في ليلةٍ ليلاء, تغشى الأبصار, وتحجب الرؤيا, ويقطع أرضاً مغطاةً بالجليد أمّا الكريم فيظهر بمظهر البطل المنقذ الذي يمدّ إلى الضيف حبل النجاة بضوء ناره التي تعدّ لغةً إشاريّة دالة على رغبة الكريم في الإكرام فإذا مانزل الضيف منزل الكريم أطعمه أدسم الطعام, وأرقاه وأرخى سمعه لحديثه؛ لأشعاره بالسعادة وطيب اللقاء وسواء عنده في ذلك القريب والغريب **(المرزوقي, 1968, 1694/4):**

وَإنِّي لَأَدْعُو الضَّيْفَ بِالضَّوْءِ بَعْدَمَا كَسَا الأَرْضَ نَضَّاحُ الجَلِيْدِ وَجَامِدُهْ
لِأُكْرِمَهُ إنَّ الكَرَامَةَ حَقُّهُ وَمِثْلَانِ عِنْدِي قُرْبُهُ وَتَبَاعُدُهْ
أَبِيتُ أُعَشِّيهِ السَّدِيفَ وإنّي بِمَا قَالَ حَتّى يَتْرُكَ الحَيّ حَامِدُه

وقدأصّل الشعر هذا العرف بين الكرماء ويذكر أنَّه"كلّما كان موضع النار أشدَّ ارتفاعاً, كان صاحبها أجود وأمجد؛ لكثرة من يراها من البعد**"(الجاحظ, د.ت, 299),** ومزرد بن ضرار الغطفاني يفتخر بذلك(**نفسه:243, وينظر الأعشى, 1950, :ق:33, ب:223/51):**

فأبْصرَ ناري وَهِي شَقْرَاءُ أُوقِدَتْ بِعَلْيَاءَ نَشْزٍ للعُيونِ النَّواظِرِ

وفضلاً على الإرتفاع ذكر الشاعر لون ناره الساطع المنظور للمارة, فجعلها شقراء؛ لأنَّ ضوءها ظاهر وتدلّ على أنَّه تخيّر اليابس من الحطب؛ لتشتدَّ حمرتها وتعلو ألسنتها, فتتراءى للسائرين والتائهين, ولا يكتفي الجواد السمح في إيقاد النار على المرتفعات فقط, بل قد يهمُّ برفع قبسٍ منها بكفّه؛ كي يُرَى سناها من بعيد؛ ولتسنح الفرصة لضعاف البصر أيضاً من رؤيتها وتتبع ضوئها فمعقر الأزدي يقول في ذلك**(الخالديان, 1995, 37/1):**

رَفَعْتُ لَهُ بِالكَفِّ نَاراً يَشُبُّهَا عَلَى المَجْدِ مَعْرُوفٌ لَهَا مَا يريمها

والأعشى يشير إلى نار ممدوحه, ويثني عليها بأنّها مضرومة على يفاع الأرض كدليلٍ على كرم ممدوحه فيقول (**الأعشى, 1950 , 225-223**):

لَعَمْرِي لَقَدْ لاحَتْ عُيونٌ كَثيرَةٌ إلى ضَوْءِ نَارٍ في يَفاعٍ تُحَرَّقُ
تُشَبُّ لِمَقرُورَينِ يَصطَلِيانِها وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَدَى وَالمُحَلَّقُ

فالشعر بتمجيده لهذه المظاهر ينتصر للإنسان ضد عوامل الهلاك والفناء, وهو يبين صدق دعوة الكريم من خلال إصراره على إيقاد النار في الليالي الباردة ففي هذا الوقت يقلُّ الطعام, ويصعب القرى غير أنَّ الجواد لايتوانى عن فعله, بل تاكيداً منه على صدق دعوته, وإصراره على فعله, إنَّه يذكي ناره بالعود والغار, والهنديِّ فتفوح رائحتها؛ ليضمن هداية من لم تسعفه حاسة البصر فتسعفه حاسة الشم(**محمد, 2012, 35**), فالشعراءإذا أرادوا مدح مُوقِدِ النار وصفوه بأنَّه يوقدها بالغار, والمندل والقطر, على النحو الذي ورد في قول عدي بن زيد العبادي(**العبادي, 1965, 100**):

رُبَّ نَارٍ بِتُّ أَرْمُقُها تَقْضِمُ الهِنْدِيَّ والغَارَا

والحارث بن حِلِّزَة اليشكري يوقدها بالعود(**اليشكري, 1994 , 77**):

أَوقَدَتها بَينَ العَقيقِ فَشَخصيـ نِ بِعودٍ كَما يَلوحُ الضِياءُ

على هذا النحو أسهم الشعر في إشاعة هذا العرف بين الناس وبات رمزاً واضحاً من رموز الكرم.

2-2-2تمجيد قدورالكريم وجفانه

مجَّدالشعر كلّ ما يتعلق بالكريم, وكلّ ما يستخدمه في عملية القرى, ومن بين تلك الأشياء القدور والجفان, فقد نعت الشعراء تلك الأوعية المهمّة بمختلف النعوت التي باتت فيما بعد مظهراً جلياً من مظاهر الكرم ومن أهمِّ الصفات التي وصفوا بها القدور:ضخامتها وسعتها, وامتلاؤها بأشهى أنواع اللحوم والشحوم, وآية ذلك الجفنة الكبيرة التي أعدّها المحلّق فجنّب بها آل المحلَق مذمّة الناس وقد جرى ذكرها بإعظام على لسان الأعشى إذقال(**الأعشى, 1950 , 225**):

نَفى الذَمَّ عَن آلِ المُحَلَّقِ جَفنَةٌ كَجابِيَةِ السَّيحِ العِراقيِّ تَفهَقُ
يَروحُ فَتى صدقٍ وَيَغدو عَلَيهِمُ بِمِلءِ جِفانٍ مِن سَديفٍ يُدَفَّقُ

والجفنة كمايقول ابن منظور:"أعظم مايكون من القصاع"(**ابن منظور, مادة جفن**), وقدبالغ الأعشى في وصف جفنتهم بالضخامة والسعة, لأنّه شبهها بالحوض الكبير المملوء باللحوم والشحوم, وفضلاً على ذلك فإنّها تملأ كلّما قلّ طعامها, وكلّما عظمت القدور, وامتلأت باللحم كان ذلك للفخر أدعى وبالمدح أولى, كقول المرقش الأكبر مادحاً(**المرقشين, 1998, 6**):

عِظامُ الجِفانِ بالعَشِيَّاتِ والضُّحى مَشاييطُ للأَبْدانِ غَيْرُ التَّوارِفِ

ولكي تحظى قدر الكريم بالتمجيد والثناء الحسن يتعينّ ملؤها باللحوم والشحوم, وقد كانت القدور الموصوفة بهذه الصفات مدعاةً لأن يجعلها طرفة بن العبد من مزايا قومه بقوله(**ابن العبد, 2002, 42**)

نَحْنُ في المشْتَاةِ نَدْعُوا الجَفَلى لاتَرَى الآدِبَ فينا يَنْتَقِرْ
بِجِفانٍ تَعتَرِي نَادِيْنَا مِنْ سَدِيفٍ حِينَ هاجَ الصنَّبِرْ
كَالجَوابي لَا تَنِي مُتْرَعَةً لِقِرَى الأَضْيافِ أَو لِلمُحتَضِرْ

فقدور قوم طرفة كبيرة كالأحواض, حافلة باللحوم على الدوام, وهي مبسوطة لعموم الناس ولاسيما عند حلول الشتاء أو اشتداد الزمان, وضيق العيش وتبلغ القدورمن الكبر والسعة ما لايخشى الكريم معها نفاداً, وآية ذلك أنَّ الكريم يكلّف منادياً يدعوالناس إلى الطعام, يقول أميَّة بن أبي الصّلت مادحاً عبد الله بن جدعان(**ابن أبي الصّلت, 2009, 195**):

لَهُ داعٍ بِمَكَّةَ مُشمَعِلٌّ وَآخَرُ فَوقَ دارَتِهِ يُنادي
إِلى رُدُحٍ مِنَ الشيزى مِلاءٍ لُبابَ البُرِّ يُلبَكُ بِالشَهادِ

ولبيد بن ربيعة العامري يمجِّد جفنته بأنَّه ملأها بشحم السنام كدليلٍ واضحٍ على شدّة كرمه(**العامري, د.ت, 14**):

فَلَقَد أُعوِصُ بِالخَصْمِ وَقَدْ أَمْلَأُ الجَفْنَةَ مِنْ شَحْمِ القُلَلِ

و مما يحمد أيضاً من قدور الكريم سوادها الدالِّ على كثرة استعمالها؛ لكثرة الضيوف والنازلين بداره ومن هنا ينفي النابغة الذبياني عن قومه أن يكونوا حديثي العهد بهذه الصفة الحميدة وإنّما هم ورثوها جيلاً إثرجيل(**الذبياني, 1977, 175**):

لَهُ بِفَناءِ البَيتِ دَهْمَاءُجَوْنَةٌ تَلَقَّمُ أَوْصَالَ الجَزورِ العُراعِرِ
بَقِيَّةُ قِدرٍ مِن قُدورٍ تُوُرِّثَتْ لِآلِ الجُلاحِ كابِراً بَعدَ كابِرِ

وتصطبغ جفان ثعلبة بن عوف باللون الفاحم, وحريٌّ بها أنْ تُذكر في الشعر ؛ لكثرة مكوثها على الأثافي التي تنمُّ على كثرة المطبوخ فيها فيمدحها الأفوه الأودي بقوله**(الأودي, 1937 , 19, وينظرالعامري:ق:64, ب:215/8):**

فينا لِثَعلَبَةَ بنِ عَوفٍ جَفنَةٌ يَأوي إِلَيها في الشِتاءِ الجُوَّعُ
وَمَذانِبٌ ما تُستَعارُ وَجَفنَةٌ سَوداءُ عِندَ نَشيجِها ما تُرفَعُ

و مما يعظِّمه الشعر أيضاً تنصيب القدور في الفضاء العالي, وعدم حجبها عن الناس فحاتم الطائي يجعل قدوره منصوبة في الصحراء؛ لتكون ظاهرةً لعيان السابلة والمسافرين فيقول(الطائي1990, 232), :

وَأُبرِزُ قِدري بِالفَضاءِ قَليلُها يُرى غَيرَ مَضنونٍ بِهِ وَكَثيرُها

والشاعر عوف بن الأحوص ينصب قدوره في أرضٍ مفتوحة لايحول بينها وبين المستنجدين سترٌ وحاجز فهي مرئية لهم وهادية لبيوتهم**(الضبي, 2010 , 177, وينظرالطائي, 1990ق53, ب:239/1):**

تَرَيْ أن قدْري لا تزالُ كأنّها لِذي الفروةِ المقرورِ أُمٌّ يزورها
مُبرَّزَةٌ لا يُجْعَلُ السِّترُ دونها إذا أُخْمِدَ النِّيرانُ لاح بَشيرُها

ومالك بن حريم يذكر مناقب أربعاً فرضها على نفسه, وهي حريّة بأن ترفع المرء إلى المنزلة العالية, فالرابعة منها خصّها بالقدر فيقول**(الشعراء المقلّون, 2007 , 36):**

فَإن يَكُ شَابَ الرَأسُ مِنّي فَإنَّني أَبِيْتُ عَلى نَفْسي مَنَاقِبَ أَرْبَعا
فَـوَاحِـدَةٌ أَنْ لا أَبِـيْـتَ بِـغِـرَّةٍ إِذَا ما سَوامُ الحَيِّ حَوْلي تَضَوَّعا
وَثانِـيَـةٌ أَن لا أُصمِّتُ كَلبَـنا إذا نَزَلَ الأَضيافُ حِرصاً لِنودَعا
وَثالِثَةٌ أَن تُقَـذَّعَ جارَتـــي إذا كانَ جارُ القَومِ فيهِم مُقَذَعا
وَرَابِعَةٌ أَنْ لا أُحَجِّلَ قِدرَنا عَلى لَحمِها حنَ الشِتاءَ لِنَشبَعا

فالقدور والجفان كثيرة الذكر في شعر شعراء ما قبل الإسلام؛ لأنّها كانت رمزاً جلياً من رموز العطاء.

2-2-3تمجيد كلب الكريم:

حرص الكريم على هداية الضيف إلى مضاربه في كلّ وقتٍ وحين, فلا يمكن أنْ تبقى النيران مُشتعلة طوال الليل فكانت تخمد في بعض الأحيان, فلا يستطيع المُوقِد أنْ يبقى ساهراً الليل كلَّه, فكانت يقظة الكلب ونباحه بديلاً إذا ما النار خبا لهيبها, وكلُّ ذلك ينمُّ على حرص الجواد على دوام استدعاء الضيوف, وهداية التائهين في غياهب الصحراء المضلّة, وقد وردت في الشعر كثيراً لفظة المُستنبِح:وهو الرجل المسافر أو الوافد الذي يتعذّر عليه الاهتداء إلى بيوت الكرام ليلاً؛ لشدَّة ظلمته فينتحل لنفسه نباح الكلاب, فتسمعه كلاب الحي فتجيبه بنباحٍ مماثلٍ يتخذه المسافر هادياً له إلى مضايف الكرام**(ينظر:القالي, 1966, 21/1),** فالاستنباح محاولةٌ ذكيّةٌ للانتصار على أهوال الصحراء, وبردها القارس وليلها المظلم فقدتجلّت صورةٌ من هذه الظاهرة لدى الشاعر المتلمس الضبعي الذي وصف حال أحد المستنبحين في ليلةٍ باردةٍ عاصفةٍ ريحها, وكيف استجاب لنباحه كلب الكريم, وكاد يكلِّمه لعظم احتفائه به على الرغم من إنَّه حيوان لا يعقل ولا يتكلّم **(الضبعي, 1970 , 317):**

وَمُستَنبِحٍ تَستَكشِفُ الريحُ ثَوبَهُ لِيَسقُطَ عَنهُ وَهوَ بالثَوبِ مُعصمِرُ
عَوى في سَوادِاللَيلِ بَعدَاِعتِسافِهِ لِيَنبَحَ كَلبٌ أَو لِيــوقَظَ نُوَّمُ
فَجاوَبَهُ مُستَمِعُ الصوتِ لِلنَّدى لَهُ عِندَ إِتيانِ المُحِبِّينَ مَطعَمُ
يَكادُ إِذا ما أَبصَرَ الضَيفَ مُقبِلاً يُكَلِّمُهُ مِن حُبِّهِ وَهوَ أَعجَمُ

وعوف بن الأحوص يصف أيضاً أحدالمستنبحين التائهين في ليلةٍ دهماء لايرى فيها أحداً, فما إنْ سمع صوت المستنبح استبشر, وأسرع إلى رفع النار كي يهتدي إليه ضيفه, ويُؤنس قلباً كان جمّاً بلابله, وما أنْ وصل حتى زجر كلابه عن العواء والافتراس خشية إرهاب ضيفه**(الضبي, 2010 , 176):**

وُمسْتَنْبِحٍ يخشى القَواءَ ودونَهُ من الليلِ بابا ظُلْمَةٍ وسُتورُها
رَفَعْتُ له ناري فلمّا اهتدى بها زجَرْتُ كلابي أن يَهِرَّ عَقُورُها

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الشعر يمجِّد الكلاب المستجيبة للمُستنبِح؛ لأنّها تهدي التائهين إلى ديار الكريم, بيد أنّه يحمد صمتها عند وصول النازلين وآية ذلك أنَّ مالك بن حريم عدّ تصميت الكلاب خصلةً محمودةً إذ أنزلها المرتبة الثانية من الخصال التي نعت بها نفسه في قوله**(الشعراءالمقلّون, 2007, 36)**:

فَإن يَكُ شابَ الرَأسُ مِنّي فَإِنَّني أَبيتُ عَلى نَفسي مَناقِبَ أَربَعا
فَوَاحِدَةً أَنْ لاأَبِيتَ بغِرَّة إذا ماسوام الحَيِّ حَوْلِي تَضَوَّعَا
وَثانِيَةٌ أَن لا أُصمِّتُ كَلبَنا إذا نَزَلَ الأَضيافُ حِرْصاً لِنودَعا

ومن مألوف عادات العرب أن يذمّوا الجبن, أو يستصغروا الجبناء, غير أنّهم عدّوا الجبن صفةً أثيرةً في كلاب الكرام فهي لاتهرُّ وقت حلول النزلاء لاعتيادها على رؤية هؤلاء النزلاء على الدوام ومن هنا صيَّر حاتم الطائي الجبن محمدةً في كلبه يتباهى به في قوله**(الطائي, 1990 , 63, وينظرأيضاً:ق:53, ب:239/1):**

فَإِنيّ جَبانُ الكَلبِ بَيتي مُوَطَّأٌ أَجُودُ إِذَا ما النَفسُ شَحَّ ضَمِيرُهَا
وَإِنَّ كِلابي قَدْ أُقرَّتْ وَعُوِّدَتْ قَليلٌ عَلى مَن يَعتَريني هَريرُها

فحاتم يذمُّ كلاب البخيل؛ لأنَّها تهرّ بوجه الضيف, ويمدح كلابه؛ لأنَّها تجبن عند رؤية الوافدين.

2-2-4تمجيد ظروف الإكرام:

بما أنَّ العرب قطنوا الصحراء التي كانت تعاديهم بقساوة ظروفها, وسوء أحوالها الجوية من صيفٍ لافحٍ إلى شتاءٍ قارسٍ ومجدب, وقلّة في المؤن والكلأ, لذا قام الشعر بدوره في التشجيع على الكرم, وإنقاذ الناس من الضيق وعسر الحال فانبرت ألسنة الشعراء إلى تعظيم الكرماء الذين لم تثبط عزيمتهم ولم تهن همّتهم في تلك الأحوال, فمن بين الأوقات التي مُجِّدَ العطاء فيها, الشِّتاء القارس الذي كان يرمز عند العرب إلى الحاجة والجوع فتعلو قيمة الكرم في هذا المناخ السيء؛ لذا ترى امرأ القيس يعظّم إكرامه للضيوف في الشتاء بقوله**(الكندي, 1996, 254, وينظرالعامري:ق:64, ب:214/3):**

كرامٌ إذا الضَّيفُ عَنْدَ الشِّتاءِ إذا ما المَشَارِعُ أَضْحَتْ جَلِيداً

أمّا الأعشى فيباهي بكرام قومه الذين يُسمع في مجالسهم رنين قداح الميسر, ويجودون بالطعام على الجياع أوان الشتاء واشتداد البرد**(الأعشى, 1950 , 248):**

فَلَقَد تُصلَقُ القِداحُ عَلى النَيــ بِ إذا كانَ يَسرُهُنَّ غَرَامَا
بمَساميحَ في الشِتاءِ يَخالو نَ عَلى كُلِّ فَالِجٍ إِطْعَامَا

وبشربن أبي خازم نعت (عمرو بن أم إياس), بحافظ الحي؛ لأنَّه كان سبباً في حفظ أمنهم الغذائي؛ لأنّ هبته كانت في الشتاء وكانت بالمئات من بقر الوحش, والإبل البيض, والنوق بفصائلها, ومن كثرتها شبهها ببساتين يثرب وهذا لايصدر في هذا الوقت إلَّا عن شخصٍ كريمٍ تأصّل في نفسه الكرم والسماحة يقول **(ابن أبي خازم, 1960, 38-39, وينظرالأعشى, 1950:ق:4, ب:40 /39):**

الحافِظُ الحَيَّ الجَميعَ إِذَا شَتَوا وَالوَاهِبُ القَيْنَاتِ شِبْهُ الرَّبْرَبِ
وَالمَانِحُ المِئَةَ الهِجَانَ بِأَسْرِهَا تُزْجِى مَطَافِلُها كَجَنَّةِ يَثْرِبِ

وتزداد هذه القيمة الفاضلة, كلما اشتدَّت الرياح الباردة العقيمة في هذا الفصل, وازدادت الحاجة إلى الطعام, فزهير بن أبي سلمى يثمن جهد ممدوحه في سعيه إلى إشباع الجائعين في ليلةٍ عاصفةٍ باردةٍ, وعدم إدّخاره للشحوم وتقديمها طريةً للفقراء إذ يقول**(ابن أبي سلمى, 2008, 99-100):**

تَاللَهِ قَدْ عَلِمَتْ قَيسٌ إذا قَذَفَتْ رِيحُ الشِّتاءِ بُيوتَ الحَيِّ بِالعُنَنِ
أَنْ نِعمَ مُعترَكُ الحَيِّ الجِياعِ إِذَا خَبَّ السَفيرُ وَمَأوى البَائِسِ البَطِنِ
مَنْ لا يُذابُ لَهُ شَحمُ النَصيبِ إذا زَارَ الشَّتاءُ وَعَزَّتْ أَثْمُنُ البُدُنِ

فاستعماله للفظة(ريح), دليلٌ على أنّها ريحٌ شديدةٌ عاصفةٌ تبطن الأذى والضرر, وعبد قيس بن خفاف أيضاً يذكر أهميّة إكرام الضيف حين هبوب الرياح الباردة فيقول**(بنو تميم, 1982, 355):**

إلَى مَلَقٍ بِضُيُوفِ الشِّتاءِ إذا الرِّيحُ هَبَّتْ بِلَيْلٍ بَلِيلَا

إنَّ قيمة الكرم معقودة بالظرف المحيط به, فكلّما كان الظرف نكداً شديداً الضراوة كان الكرم حظيّاً بالتجلّة والإشادة, وكثيراً مايكون الشتاء هوالظرف الباعث عل ضنك الحياة, وضيق العيش, فالكريم من تصدّى لهذا الحال في الشتاء القاسي الشديد البرودة, التي لايطيقها الكلب, فيلوذ بجحره فراراً من أذاها, فممدوح أميَّة بن أبي الصّلت يسرع إلى العطاء في هذا الظرف العصيب(**ابن أبي الصّلت, 2009, 150):**

كَريمٌ لا يُغَيِّــرهُ صـــباحٌ عَنِ الخُلُقِ السَنِيِّ وَلا مَساءُ
تُباري الريحَ مَكرُمَةً وَمَجداً إِذا ما الكَلبُ أَجحَرَهُ الشِتاءُ

ومن الأوقات الأخرى التي مجَّد فيها الشعر الكرم هو وقت القحط والجدب والإمحال, ففي هذا الوقت ينحبس المطر ويعزُّ القرى, وتندر الإبل وقد يتوقف الكثيرون عن العطاء, فيغربل الشعر الأجواد الحقيقيين من غيرهم ويؤصّل امرؤ القيس الجود في ممدوحه في وقتٍ يثور فيه نازع البخل فيقول**(الكندي, 1996, 199, وينظر الأعشى, 1950: ق:4, ب:39/39, وق:13, ب:109/61):**

أَحْلَلْتُ رَحْلي في بَنِي ثُعَلٍ إِنَّ الكِرامَ لِلْكَرِيمِ مَحَلْ
فَوَجَدْتُ خيرَ النَّاسِ كُلِّهُمُ جَاراً وَأَوْفَاهَم أَبَا حَنْبَلْ
أَقْرَبَهُمْ خَيراً وَأَبْعَدَهُمْ شَرّاً وَأَجْوَدَهُمْ أَوَانَ بَخَلْ

والجدير بالذكر أنّ هناك صعوبات قد تواجه السيِّد المُطاع منها, ملازمة الكرم في كلّ وقتٍ وحين؛ في الشدّة والرخاء, وفي الحرّ و القرّ فذلك يكفل له رضا الناس عنه, واحتفاءهم به, واجلالهم له فهذا حاتم الطائي الطائي يعزو سؤدده إلى يده الباسطة في كلّ وقتٍ وحين وحوله أناس ينصحون له بالإمساك وتوفير ماله للأيّام القاحلة ويشيرون عليه بالاقتصاد**(الطائي, 1953 , 58):**

يَقولونَ لي أَهْلَكْتَ مالَكَ فَاقِتَصدْ وَما كُنْتُ لَوْلَا ما يَقولونَ سَيِّدَا

وحين يمدح الأعشى قوم (قيس بن معديكرب), يصفهم بالكرم النادر في أجواء غاية في القساوة والجدب, فهم أجواد يطعمون الجياع حين تحبس السماء درَّها, وأوقات تهبّ ريح الشمال الحبلى بالثلج والصقيع فيقول**(الأعشى, 1950 , 333, وينظرابن أبي سلمى, 2008, ق29, ب:232/8):**

وَهُمْ يُطْعِمُونَ إِذْ قَحَطَ القَطْ رُ وَهَبَّتْ بِشَمأَلٍ وَضَرَيبِ

إنَّ الظرف الاستثنائي الذي يخيم على البيئة المتمثل بالجفاف, وندرة الموارد, ومصادرالعيش كفيل بظهور الكرام الأصّلاء في ميدان الكرم, وقد رسم عامر بن الطفيل بالكلمات صورةً دقيقةً لأوقات الضيف واشتداده الحاجة, تضافر فيها الزمن بطوله, والسماء بإمساك درّها, والأرض بسلطان جليدها, والنبات باصفرار لونه وذهاب روائه, ففي مثل هذا الزمن العصيب الذي تنبيء عنه هذه الصورة ينشط قومه في مضمار البذل والعطاء بقوله: **(ابن طفيل, 1979, 46-47, وينظرابن يعفر, 1970, ق:23, ب:35/1):**

إِذا سَنَةٌ عَزَّت وَطالَ طِوالُها وَأَقحَطَ عَنها القَطرُ وَاِصفَرَّ عودُها
وُجِدنا كِراماً لا يُحَوَّلُ ضَيفُنا إِذا جَفَّ فَوقَ المَنزِلاتِ جَليدُها

إنّ الظروف لها دورها الفعال في إظهار الكرماء الأصّلاء, فالجواد الحق يكرم ويجود تحت كلّ ظرفٍ ووقت, فلا تخور عزيمته في أوقات:القحط والجدب, والحرّ والبرد.

الخاتمة

بعد صحبةٍ طويلة مع هذا الموضوع قاد البحث فيه إلى نتائج عدّة نجملها على النحو الآتي**:**

1-إنّ الإنسان العربي كان شديد الحرص على الكرم يجود بما لديه ولو كان ذا حاجةٍ ومعسرا.

2-كان العربي يؤثر ضيفه على نفسه, وعلى أهل بيته يقدّمه عليهم ويسعى سعياً لنيل رضاه فيكون عبداً له أو كالعبد.

3-لم يكن السيّد المضياف يختصر الضيافة في إطعام الوافدين عليه, إنّما عدّ البشاشة والبشر, وحسن الاستقبال, والتوديع شرطاً لازماً للإيفاء بالكرم الحقّ الذي لا تشوبه شائبة.

4-التفت الأجواد بدقّة إلى الحرج الذي يشعر به الضيوف في الليالي الباردة والممطرة فعمدوا إلى إيقاد النيران على نشوزٍ من الأرض يهتدي بضوئها المسافرون والتائهون.

5-فرضت عليهم البيئة الصحراوية الضاغطة, والأحوال الاقتصاديّة القاسية أن يولوا الكرم عنايةً خاصةً فبه تحدّوا قساوة الظروف في أجواء القحط والسنين العجاف.

6-ولمّا كان الشعر انعكاساً للبيئة وقيم المجتمع فإنّه كان حاضراً حضوراً فعّالاً في التعبير الوافي عن عطايا الرجال الكرام الذين يجودون بالمستطاع أيّام القحط وقمع الطبيعة.

7-استطاع الشعر العربي في عصر ماقبل الإسلام رسم صورةٍ راقيةٍ للأجواد؛ ليكونوا قدواتٍ حسنةٍ للآخرين؛ وليكونوا الوجه المضاد لأولئك النفر الذين استهواهم المال, فشحّت نفوسهم وجعلوا أيديهم مغلولةً إلى الأعناق, واختاروا اللؤم والبخل طريقاً لهم في الحياة.

4-ثبت المصادر والمراجع

-ابن أبي خازم, بشر, 1960, ديوان بشر بن أبي خازم, تحقيق:عزّة حسن, مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم, دمشق.

-ابن أبي سلمى, زهير, 2008, شرح شعر زهير بن أبي سلمى, تحقيق:فخر الدين قباوة, مكتبة هارون الرشيد, ط3.

-ابن أبي الصّلت, أمية, 2009, أميّة بن أبي الصّلت حياته وشعره, تحقيق:بهجة عبد الغفور الحديثي, , هيئة أبوظبي للثقافة والتراث, ط1.

-ابن حجر, أوس, 1979, ديوان أوس بن حجر, تحقيق:محمد يوسف نجم, دار صادر, بيروت.

-ابن الطفيل, عامر, 1979, ديوان عامر بن الطفيل, دار صادر, بيروت.

-ابن العبد, طرفة, 2002, ديوان طرفة بن العبد, دار الكتب العلميّة, بيروت, ط3.

-ابن قميئة, عمرو, 1965, ديوان عمرو بن قميئة, تحقيق:حسن كامل الصيرفي, جامعة الدول العربية.

-ابن منظور, محمد بن مكرم , لسان العرب, تحقيق:عبد الله علي الكبير وآخرون, دارالمعارف, القاهرة.

-ابن الورد, عروة, 1966, ديوان عروة بن الورد, تحقيق:عبد المعين الملوحي, مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي, دمشق.

-ابن يعفر, الأسود, 1970, ديوان الأسود بن يعفر, تحقيق:نوري حمودي القيسي, المؤسسة العامة للصحافة والطباعة, مطبعة الجمهورية.

-الأعشى, 1950, ميمون بن قيس, ديوان الأعشى الكبير, تحقيق:محمد حسين.مكتبة الاداب بالجماميز.

-الأودي, صلاءة بن عمرو بن مالك الأفوه, 1937, ديوان الأفوه الأودي, تحقيق:عبد العزيز الميمني(ضمن كتاب الطرائف الأدبية), لجنة التأليف والترجمة والنشر, القاهرة.

-البغدادي, عبدالقادر بن عمر, 1997, خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب البغدادي, تحقيق:عبد السلام محمد هارون, مكتبة الخانجي القاهرة ط4.

-بنو تميم, قبيلة تميم, 1982, شعر بني تميم في العصر الجاهلي, تحقيق:عبد الحميد محمود المعيني, من منشورات نادي القصيم الأدبي.

-التبريزي, يحيى بن علي بن محمد, شرح ديوان الحماسة, دار القلم, بيروت.

-الجاحظ , عمرو بن بحر أبو عثمان, البخلاء, تحقيق:طه الحاجري, دار المعارف, القاهرة, ط5.

-الجاحظ, 1966, الحيوان, تحقيق:عبد السلام هارون, مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي, مصر ط2.

-الجاحظ, عمرو بن بحر أبوعثمان, 1998, البيان والتبيين, تحقيق :عبد السلام محمد هارون, مكتبة الخانجي القاهرة ط7.

-الجشمي, 1981, ديوان دريد بن الصمّة الجشمي, تحقيق:شاكر الفحّام ومحمد خير البقاعي, دار قتيبة, دمشق.

-الحميري, نشوان بن سعيد, 1975, ملوك حمير وأقيال اليمن, تحقيق:علي بن إسماعيل المؤيد وإسماعيل بن أحمد الجرافي, المطبعة السلفية, القاهرة, ط2.

-الخالديان, أبوبكر محمد, أبو عثمان سعيد, 1995, الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين, تحقيق:محمد علي دقة, وزارة الثقافة السورية, ط1.

-الذبياني, زياد بن معاوية النابغة, 1977, ديوان النابغة الذبياني, تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم, دار المعارف, القاهرة, ط2.

-الشعراء المقلّون, 2007, ثلاثة شعراء مقلون, تحقيق:شريف راغب علاونة, دار المناهج, الأردن, ط1.

-الضبعي, جرير بن عبد المسيح المتلمّس, 1970, ديوان المتلمس الضبعي, تحقيق:حسن كامل الصيرفي, معهد المخطوطات, جامعة الدول العربية, القاهرة.

-الضبي, المفضّل بن محمد, 1983, أمثال العرب, , تحقيق:إحسان عباس, دار الرائد العربي بيروت, ط2.

-الضبي, المفضل بن محمد, 2010, المفضّليّات, تحقيق:أحمد محمد شاكر وعبد السّلام هارون, دار المعارف القاهرة, ط6.

-الطائي, حاتم بن عبد اللّه, 1953, ديوان حاتم الطائي, تحقيق:كرم البستاني, مكتبة صادر, بيروت.

-الطائي, حاتم بن عبد اللّه, 1990, ديوان حاتم الطائي, تحقيق:عادل سليمان جمال, مكتبة الخانجي, القاهرة ط2.

-العامري, لبيد بن ربيعة, ديوان لبيد بن ربيعة العامري, دار صادر, بيروت.

-العامريون, 1982, أشعار العامريين الجاهليين, تحقيق: عبد الكريم إبراهيم يعقوب, دار الحوار سوريا, ط1.

-العبادي, عدي بن زيد, 1965, ديوان عدي بن زيد العبادي, دار الجمهوريّة, بغداد.

-العبدي, عائذ بن محصن المثقب, 1971, ديوان المثقب العبدي, عني بتحقيقه والتعليق عليه:حسن كامل الصيرفي, معهد المخطوطات, جامعة الدول العربية, القاهرة.

-العدواني,حرثان بن محرث ذو الأصبع, 1973,تحقيق: عبد الوهاب محمد العدواني ومحمد نائف الدليمي مطبعة الجمهور, الموصل.

-القالي, إسماعيل بن القاسم أبو علي, 1926, الأمالي, تحقيق:محمد عبد الجواد الأصمعي, دار الكتب المصرية ط2.

-الكندي, امرؤ القيس بن الحارث, 1996, ديوان امرئ القيس, تحقيق.محمد ابو الفضل ابراهيم, دار المعارف القاهرة, ط5.
-محمد, جليل حسن , 2012, قراءات نصيّة في الشعر الجاهلي, دار جرير, عمان, ط1.
-المرزوقي, أبو علي احمد بن محمد, 1968, شرح ديوان الحماسة, تحقيق:أحمد أمين وعبد السلام هارون مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر, القاهرة, ط2.
-المرقشيان, عمرو بن سعد, ربيعة بن سفيان, 1998, ديوان المرقشين, تحقيق:كارين صادر, دار صادر, بيروت ط1.
-الميداني النيسابوري, أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم, مجمع الأمثال, تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد, دار المعرفة, بيروت.
-النعناع, محمد فؤاد, 1994, الجود والبخل في الشعر الجاهلي, دار طلاس للدراسات والترجمة, دمشق , ط1.
-الهذليون, قبيلة هذيل, 1995, من منشورات دار الكتب المصرية, القاهرة, ط2.
-اليشكري, الحارث بن حلّزة , 1994, ديوان الحارث بن حلّزة اليشكري, تحقيق:مروان العطية, دار الإمام النووي للنشر والتوزيع, دمشق, ط1.

ئەرکی شکۆمەندی لە شیعری سەردەمی پێش ئیسلام "بەخشندەیی بە نموونە"

سناء حیاس ابوبکر
بە شی زمانی عە ربی،کۆلیژی پە وە ردە،زانکۆی سە لاحەددین -هەولێر
sanaa.abubaker@student.su.edu.krd

جلیل حسن محمد
بە شی زمانی عە ربی،کۆلیژی پە وە ردە،زانکۆی سە لاحەددین -هەولێر
jalil.muhamad@su.edu.krd

پوختە

لەسەردەمی پێش هاتنی ئیسلامدا شیعر ئاوێنە و ڕەنگدانەوەی ژیانی عەڕەب بوو، چ لە ڕووی خێر و چاکە، هەمیش لە ڕووی شەڕ و خراپە؛ بۆیە گەر سەیرێکی دیوانەکان بکەین دەبینن کە هەموو ئەو پرس و باسانەیان تێدا تۆمار کراوە کە پەیوەستن بە ژیانی ئەوسای عەڕەب، هەروەها شیعر بە دیارترین ئامرازی دەستیان دادەنرێ بۆ گەیاندن و بڵاوکردنەوەی بەهاکان، یەکێکیش لەو بەها بەرزانەی کە ئەو سەردەمەی پێ جیا دەکرێتەوە و بەشێوەیەکی بەربڵاو لەئێو دیوانەکانیان بەرچاو دەکەوێ بریتییە لە بەخشندەیی، بەجۆرێك کە زۆر بە وردی هەر شتێك پەیوەست بووبێ بەو پرسە لەئێو شیعرەکانیاندا تۆمار کراوە، هەر لە سیفەت و تایبەتمەندییەکانی تا ڕواڵەت و دیاردەکانی.
ئەم توێژینەوەیە تیشك دەخاتە سەر ئەو پرسە وردانەی کە لە ئێو شیعرەکانی ئەو سەردەمەدا لە بارەی بەخشندەییەوە نووسراون، هەروەها سیفەتەکانی کەسی بەخشندە، هاوکات ڕواڵەتەکانی بەخشندەییش لەم توێژینەوەیەدا دەخرێتە ڕوو.

ووشە کلیلەکان: بەخشندەیی، سیفاتەکانی کەسی بەخشندە، میوانداری، ڕواڵەتەکانی بەخشندەیی

The function of glorification in the poetry of the pre-Islamic era Glorifying generosity_a model_

Sanaa Hayas Abu Bakr
Department of Arabic Language,College of Education,Salahuddin University
sanaa.abubaker@student.su.edu.krd

Jalil hasan Muhammad
Department of Arabic Language,College of Education,Salahuddin University
jalil.muhamad@su.edu.krd

Abstract

Poetry was a mirror illustrating Arab life in the pre-Islamic era, with its good and bad So this poetry counted their collection, and recorded their news, and their ideal means in their society and among those values that embroidered the pages of their poems generosity Which the Arab was keen on, not easy. Poetry has shown that keenness in the clearest and most accurate way. Mentioning everything related to generosity, and the generosity of qualities and manifestations This research investigated these fine details that poetry showed with beautiful performance And high art by mentioning the qualities of the generous and the various manifestations of generosity that we see spread in the body of the research.

Keywords: generosity, characteristics of the generous, hospitality, manifestations of generosity.